الرئاسة الى سنة ١٩٠٠ السنة التي ادركتها فيها الوفاة وكانت نائبتها لعجزها الام تاوادورا الحويك سنة ١٨٩٩ ثمَّ انتُخبت بمجمع سنة ١٩٠١ وهي الرئيسة الحالية الساعية بكل جهدها في حفظ القانون والدأبة في عمران الدير والقيام بغاية المؤسس السعيد الأثر

وقد احصينا الوفيات على ما في السجل من سنة ١٧٣١ الى ١٩٠١ فاذا هي عبارة عن ٢١٢ وفاة والآن يوجد في الدير ٥٢ راهبة فيكون تنسَّك في دير حراش من سنة ١٧٣١ الى ١٩٠١ مائتان واربع وستون راهبة وان اضفتَ الى هذا العدد الثلاثين بنتاً اللواتي دخلنهُ عند تأسيسه على ما افاد الدويهي فيكون المجموع ٢٩٤. فكان هذا الدير بمنزلة مأوى لاهل الحاجة من البنات الايتام ولكثير من الشابَّات المتورعات اللواتي أذبنَ جسدهنَّ بالتقشفات قياماً بقانونهنَّ وكل ذلك من جملة حسنات الدين المسيحي المقدس

اما الاشخاص الذين تولَّوا ادارة الراهبات بعد وفاة المطران جرمانوس صقر فمما عرفناه بعد البحث هو انهُ تولَّى ادارة الراهبات الخوري الغيور مخايل فاضل الذي رقي البطريركية سنة ١٧٩٢ ومات قبل ان يأتيه التثبيت وكان لسقفاً على بيروت فخلفهُ ابن اخيهِ مخائيل فاضل لسقف بيروت ايضاً. ومن بعد وفاة هذا الاسقف دخل الدير تحت ادارة مطران ابرشية دمشق طبقاً لنصّ المجمع اللبناني وصار اساقفة دمشق يعتنون بعقد مجامع الراهبات وتعيين المرشدين والآن يدير الراهبات في الروحيات اثنان من الرهبان الحلبيين الافاضل. هذا ما امكننا التوصل اليهِ من تاريخ هذا الدير حقَّق الله فيهِ آمال مؤسسهِ الفاضل واقام لنا في هذا العصر من يمشي على آثارهِ زهداً وتجرُّداً

مياه لبنان ورسم مجاريها

بحث جغرافيّ وعمليّ للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية في المكتب الشرقي

ليس هذه المرَّة الاولى نبحث عن مجاري المياه في لبنان. فانَّنا في كلامنا عن عين افقا (في المشرق ٢: ١٠٢٦) ألمعنا الى هذا الامر. لكنَّ خطر الموضوع يحدو بنا الى

ان نخصّص لهُ فصلًا اوسع مدًى العقول اليهِ رَسْمُنا لأنجاد لبنان واغوارهِ . وليس بحثنا الحاضر جغرافيًا محضًا بل عمليًا ايضًا واقتصاديًا . فانَّ المياه في البلاد الحارَّة من اعظم عوامل الاقتصاد كما سترى . ودرسُنا هذا لِمَا يساعد على بيان النظام العجيب الذي وضعهُ تعالى في الطبيعة لموازنة قواها . ولولا ذلك لظنّ الناس انَّ هذه الجبال الشاهقة رُبَّما كانت كحاجز يعوق المواصلات بين الاهلين او اعتبروا هذه مجاري المياه التي تندفع احيانًا كسيول جارفة طامية حدودًا لنشاطهم ودمارًا لاعمالهم . ولو تروَّوا لأدركوا ان الجبال والمياه معًا أجرى بان تُنظم بين العوامل المساعدة للمرء اللهمَّ اذا عرف ان يستخدمها لصوالحهِ

وبحثُنا هذا يتناول ثلاثة اشياء : اوَّلًا رسم عيون لبنان ثم رسم انهارهِ واخيرًا رسم المياه والشواطئ البحريَّة

١ رسم عيون لبنان

نقسم هذا الفصل ايضًا الى ثلاثة ابواب فنبيّن كيف تكوَّنت هذه العيون في لبنان ثم نحدّد صنوفها المختلفة ونختم بذكر الجداول السارية في اسراب الجبل

١ (كيف تكوَّنت عيون لبنان) تصدر عيون لبنان من مياه السماء التي تجود بها الطبيعة على بلادنا فتغمرها بها اما بهبوط الامطار الغزيرة واما بخزائن الثلوج المكتنزة في اعالي الجبل كما سبق . والارض ترتوي من هذه المياه الغائرة في كبدها فتتشرَّبها لقابلية ترشُّحها ولولا ذلك لانحدرت هذه المياه زاخرةً كالسيول الجارفة في أبان العواصف والامطار الفائضة ودفعت في مسيرها التربة بل سحفت الحصى واقتلعت الحجارة فقلبت البلاد ظهرًا لبطن حتى انَّها في بعض الاحيان تغيّر بزمن قليل صورة الامكنة ووَضعها الجيولوجيّ . وليس كذلك والحمدُ لله عمل المياه المصونة في قلب الارض فانَّها اذا نفذت في باطن التربة صفت وتخلَّصت من كل الاجسام الغريبة التي اجتذبتها ثم تروق بالتدريج وتأخذ من الطبقات التي تجتازها حرارتها وتحلّل ما تجد فيها من الاملاح القابلة التحليل ولا تزال تتخدَّر وتنضب الى ان تبلغ طبقات الارض التي لا تخرقها المياه فتسيح فوقها حتى اذا وجدت لها منفذًا تبجست منهُ عيونًا

ونفوذ الامطار في بطن الارض يجري على طرائق شتَّى على اختلاف طبيعة التربة . فاذا كانت الارض نباتيَّةً لا يبلغ الماء اعماقها لاسيَّما اذا سحَّ المطر وتزل شآبيب

وكان وجه الارض مع ذلك مائلًا بحيث يسهل السيلان. ومن عادة التربة الزراعيَّة المتركبة من بقايا النبات والحيوان ان تمتص كميَّة عظيمة من المياه لتتغذى بها النبات. فترى من ثمَّ عظم شأن التربة الزراعيَّة في الفلاحة. وممَّا تغور فيه المياه بسهولة الطبقات الرمليَّة المختلطة بالحصى. امَّا الحوَّارى والصلصال فان الماء لا يخرقهما لتزوجهما وانضمام اقسامها فيجتمع فوقهما امَّا في الاسراب او في مستنقعات على وجه الارض دون ان ينال منهُ النبات نفعًا لتراكمه في بعض الامكنة ونقصانه في اخرى

امَّا النبات فقد دلَّ المسيو اليزاي روكلو على عمله بالنسبة الى الندوَّة. فانهُ بعد اخذهِ نصيبهُ من الماء المنحدر من الغمام يساعد على نفوذ ما فضل عنهُ الى اعماق الارض. فاوراق الاشجار مثلًا تخفف وطأة سقوطهِ بان تصبَّهُ نقطةً نقطةً على الارض فتبتلَّ بهِ وتتشرَّبهُ شيئًا فشيئًا بينما ينحدر قسمٌ آخر من ماء المطر على ساق الشجرة وجذورها فيدخل ترًى في اعماق الارض. وقد لحظ الطبيعيُّون انَّ الحلَى واصناف النبات التي تنمو فوق الجبال اذا سقطت عليها الامطار او الثلوج رَوِيتْ ندوةً وانتفخت كالاسفنج فخزنت في مطاوي تجعُّداتها ماءً كثيرًا تنال منهُ التربة حظَّها بعد نضوب طراوتها. وفي بعض جبال اسكوسيا وارلندة عدد لا يحصى من هذه النباتات يبلغ الماء المخزون في خلال اوراقها واغصانها آلاف الوقٍ من طنَّات الماء (١). ومن هنا تعلم سرَّ عتبى رغبة العنز في الجبال فانَّها آفة للنبات وهي ليس فقط تجرُّدها من خضرتها التي تزينها ولكن تحرمها من الندى والرطوبة التي تحتاج اليها بلادنا الحارَّة

هذا والصخور عينها تمتص كالارض النباتية كمِّيات من الماء تختلف على اختلاف شقوقها وتباعد دقائقها. لا يخرج عن هذا الحكم الَّا حجر الصوَّان المانع وليس منهُ شيء في لبنان. وجبلنا على عكس ذلك يتركَّب اجمالًا من حجارة كلسية كثيرة النخور والثقوب تنفذ فيها الامطار كما في غربال. وتحت هذه الصخور عادةً طبقات من الصلصال لا ينفذ فيها الماء سهلًا فاذا اجاز اليها الماء نفذ قليلًا ونشأ منهُ جداول تجري على حسب ميل طبقات الصلصال واختلاف هيئتها بعمل المياه الى

(١) راجع كتاب الارض لروكلو Reclus: *La Terre* 1,300

ان تجد منفذاً تسيل منه الى الخارج. والمياه التي تنحدر هكذا فوق الصخور الكلسيّة ومنها الى الاراضي الصلصاليّة هي اوفر بالاجمال من سواها لطول مسيرها في باطن الارض الذي ربّما بلغ مئات من الامتار فتَرِدُها على مدى سيرها المياه المتحلّبة اليها. ومثال هذه الينابيع عين انطلياس وعين نهر الكلب في جعيتا فان اكثر مياه مديريّة القاطع تجري من الاولى كما انّ معظم مياه كسروان الاسفل تجري من الثانية. ومن هذا الوجه يصحّ قول الجيولوجيّين عن وفرة هاتين العينين وعن يبوسة المعاملات الواقعة تحتهما

٢ً (اختلاف عيون لبنان) يختلف موقع هذه العيون على حسب اختلاف الصخور التي تهبط عليها مياه الامطار. فترى بعضها بعيدة جداً من مهبط الغيوث والبعض الآخر ينبع تحتّ الامكنة التي نزلت فيها هذه المياه. ففي لبنان عيون لا تبعد سوى بضعة امتار من قمّة الجبل او نجوده. وهي ثروة المياه لقلّة المساحة التي تجمع ماءها وقصر مسيلها في بطن الارض

امّا العيون الغزيرة المياه فانّها تنبجس خصوصاً في الاودية عند حلف الجبال او في وسط الاباطح الواقعة تحت سلسلة جبليّة فشمال الاولى عيون العاصي الفائضة في سفح جبل هرمل وعيون نهر بيروت ونهر انطلياس ونهر الكلب السائلة في حلف لبنان. اما مثال الثانية التي تتفجّر في وسط السلسلة الجبلية عند وطإ المشارف الثانويّة فالانهار الجارية في اواسط لبنان كنهر قديشا تحت جبل الارز ونهر ابراهيم تحت جبل منيطرة ونهر دامور تحت الباروك وكنهري الأوّلي والزهراني فانّ كل هذه العيون تتبجّس في سفوح الجبال اللاحقة بالسلسلة الاصلية التي يرتوي سطحها الكلسيّ من مياه الثاوج والامطار الشتويّة فتتضحي كخزّان لا ينفذ من المياه ثم تسيل الى ان تبلغ طبقةً من الصخر الرمليّ الصلب يُدعى بُرْقةً (grès) لا يمكنها اجتيازها فتفتح لها سبيلاً وتسيح على ظهر الارض (١. ومن اعتبر مساحة الجبل الذي يخزن في صخوره وارضه القاحلة كل هذه الكمية من الندوّة وهو اشبه بصفاة واسعة الجوانب بعيدة الغور لا يكاد يتعجّب من وفرة المياه التي تجري بالعيون اللبنانية

فترى من هذا الوصف صدق ما كرّرناهُ غير مرّة وهو انّ لبنان كحوض يكتنز في

١) راجع كتاب العلّامة دينر Diener. p. 129 وخارطتهُ الجيولوجية للبنان

احشائه تلك الانهار الكبيرة وخصوصاً العاصي التي تحيي مياهه بلاد سورية وتغنيها بما تجديها من المرافق المتنوعة. ومع صحة هذا القول تجد انحاء عديدة من لبنان في حاجة ماسة الى المياه كجهات البترون والشوف مثلاً. وبينما تمرح بعض المعاملات السفلى مغتبطة الى الماء لا يشرب اهلها الا من الآبار. والعيون في بعض هذه الايالات لا تتجاوز عدد الاصابع كما في جهات البترون والغرب التي لم تحظ بنصيب صالح منها

وان سأل القارئ وما سبب هذا الاختلاف اجبناه انه ناشئ عن تركيب لبنان الاصلي فان بين نواحي تنورين وحصرون وبشرّاي واهدن المتركبة من الصخور الكلسية وبين بقية القائمقامية المتركبة من الصخور عينها قطعة مستطيلة من البرقة ذات الصخور الرملية الصلبة التي لا ينفذ فيها الماء فاذا بلغت المجاري فوجدت امامها هذا الحاجز اندحرت الى الجهات التي تعلوها فتنفجر فيها او تنفذ في باطن الارض فتجري في اسرابها وتنصبُّ بالبحر كما سيأتي. وما نقوله عن هذه الجهات قد تحقق بالبحث الجيولوجي وتراه مثبتاً بالقابلة في نواحي الشوف حيث تجد ايضاً تحت قشرة الارض العليا طبقة من الصلصال والحوّارى لا تخرقها المياه (١. وهي حالة يصعب اصلاحها ومن ثم فعلى اهل تلك النواحي ان لا يصدقوا بسهولة اقوال بعض القناقن او بالاحرى المشعوذين الذين يدّعون بمعرفة المياه التي تحت الارض

واعلم انّ ما يمكن قوله اجمالاً انّ كمّية المياه الجارية من العيون تختلف على اختلاف غزارة الامطار. بل ترى بعضها لا يظهر الّا في فصول السنين الكثيرة الامطار

امّا العيون الثابت تجريبيا فانّ كمّية مائها ليس بثابت. وكلٌّ يعلم ان لبعض هذه العيون منافذ ثانوية (estavelles) متعددة هي فوق المنبع الاصلي بل تبعد عنهُ احياناً مسافة تُذكر وتنفتح عند تواتر الامطار واذا صار الصيف بقي المنبع الاصلي وحدهُ فتكون هذه المنافذ كمصارع تخفف بسورة المياه على العين الاصلية كما ترى ذلك شتاء في وادي نهر انطلياس بين العين الحالية ومغارة البلاني

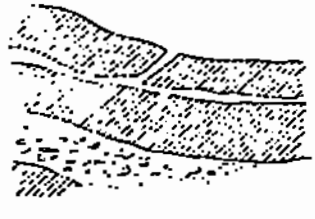

١) راجع الخارطة الجيولوجية التي رسمها الاب زُمّوفن اليسوعي في كتابه المنون « صفة لبنان الجيولوجية » (Esquisse géologique du Liban)

وما نقولهُ عن هذه المنافذ يمكن قولهُ عن بعض المغاور التي كانت المياه تجري فيها سابقًا كمغارة انطلياس مثلًا المعروفة بالبلاني التي موقعها نحو عشر دقائق فوق المنبع الكبير فانَّ هذه المغارة راقية الى الطور السابق للتاريخ وآثار المياه فيهـا ظاهرة على حضيضها وجدرانها وبما يُرى في وسطها من الحصى المصقولة باحتكاك المياه. والمرجَّح انَّ قسمًا من الصخور في باطن المغارة انخسفت فسدَّت مؤخَّر الفوهة القديمة التي كانت تسيل منها المياه. وذلك في اعصار قديمة جدًّا لانَّ هذه المغارة صارت بعدئذٍ مأوًى لاهل لبنان الاوَّلين كما اثبت ذلك حضرة الاب زُمرفن في مجلَّتنا هذه (١ : ١٤). وكذلك مغارتا نهر الكلب العُليَوْين. ولعلَّ اجمل هذه الاغوار المائيَّة مغارة نهر بيروت وهي على مسافة ساعة من منبع النهر الحالي. وعلوّ موقعها يحدُّ عن التوغُّل اليها ولكن ترى عند مدخلها آثار المياه القديمة. والتقليد الشائع عند اهل تلك الجهات انَّ هذه قناة او سرب يتَّصل بدير القلعة. وكذلك اخيرًا مغارة افقا العليا فانها منفذ ثانويّ تسيل منهُ المياه في وقت الفصول الكثيرة الامطار

هذا وانهُ ليصعب احيانًا بيان العلاقة الموجودة بين العين الاصليَّة والمنافذ الثانويَّة التي تجري على مسافات تختلف عن بعضها بعدًا. كما انهُ لا يسهل ادراك سرّ اتّصال عينين احداهما متواصلة الماء والاخرى متقطّعتهُ

وقد ظهر في ما سبق انَّ كميَّة الماء التي تجري مع عيون لبنان لعظيمة جدًّا وقد قاس منها الجيولوجي فراس (Fraas) ما يبلغ في الثانية اربعين قدمًا مكعبًا. فعين جزّين التي يتجاوزها غيرها في غزارتها تصبُّ في الثانية ٣٩٠ ليترًا ومن الامور المقرَّرة انَّ بعض ينابيع لبنان كانت سابقًا اغزر منها اليوم. فالتاريخ يخبر عن عين العرعر قرب بعبدات انها في عهد الرومان كانت تفي بحاجات مباني دير القلعة وهيكله ولذلك قد ابتنوا لها قناةً ترى آثارها الى زماننا مع انَّها في الوقت الحاضر ترة المياه لا تحتاج الى قناة. امَّا في القرون الوسطى فلم تزل كثيرة المياه حتى انَّ الدويهيّ يدعوها نهرًا في تاريخ الطائفة المارونية (ص ٩٨). وزعم صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص١٢) انَّها كانت تجري الى بيروت في قناة. وهو امر لا يُمكن اثباتهُ لكنهُ يبيّن غزارة هذه العين التي لا تكاد اليوم تحصى في عداد الينابيع اللبنانية (البقيَّة للآتي)